﴿وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦۚ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ ۝٤٠﴾ [يونس: 40]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

هـــذِهِ الآيَـــةُ تُمَثِّلُ اسْتِئْناءً واسْتِدْراكًا عَلى ما تَقَدَّمَهُ بِبَيانِ أَنَّـهُـم لَيْسوا سَواءً في الكُفْرِ

أماطَ الفخرُ الرّازيُّ اللِّثامَ عن وجهِ مناسَبةِ الآيةِ الكريمةِ لما قَبْلَها بقوله: "ولَمّا ذَكَرَ سُبْحانَهُ تَكْذيبَهُم، كان ذَلِكَ رُبَّما أيأسَ مِن إذْعانِهِم وتَصْديقِهِم، وآذَنَ باسْتِئْصالِهِم لتَكْمُلَ المُشابَهَةُ للأوَّلين، وكانَ ﷺ شَديدَ الشَّفَقَةِ عليْهِم والحِرْصِ على إيمانِهِم، فأتْبَعَه تَعالى بقَوْلِه بَيانًا لأنَّ عِلْمَهُ بانْتِسامِهِم أوجَبَ عدَمَ اسْتِئْصالِهِم"[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿بِٱلْمُفْسِدِينَ﴾: فَسَدَ يَفْسُدُ، ويَفْسِدُ، وفَسُدَ، فسادًا وفُسودًا، فهوَ فاسدٌ. والمَفْسَدَةُ: نَقيضُ المصْلَحةِ والاسْتِفْسادُ: خِلافُ الاسْتِصْلاحِ[2]. والمعنى المِحْوريُّ: ذَهابُ نَفْعِ الشَّيْءِ المقصودِ منه (أي: تَلَفُهُ وهلاكُه) لحِدَّةٍ ضارَّةٍ تَسْري في أثنائِه كالجَدَبِ في الأرضِ[3]. والفسادُ: نَقيضُ الصَّلاحِ.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

تَوَعَّدَتِ الآيَةُ مَنْ لا يُؤْمِنونَ باللهِ ورُسُـلِـهِ بـأَشَـدِّ العَذابِ

مِن المُشْرِكين مَن سيؤمنُ بالقرآنِ قبلَ موتِه، ومنهم مَن لا يؤمنُ به عنادًا ومكابرةً حتّى يموتَ، وربُّكَ - أيُّها الرَّسولُ - أعلمُ بالمُصِرّين على كفرِهم، وسَيُجازيهم على كفرِهم، ومِن قومِك - أيُّها الرّسول - مَن يصدِّقُ بالقرآنِ ويَتَّبِعُك، ويَنْتفعُ بما أُرْسِلتَ به، ومنهم مَن لا يُصَدِّقُ به حتّى يموتَ على ذلك ويُبْعَثَ عليْه، وربُّك أعلمُ بالمُفْسِدين

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 17/104.
(2) ابن منظور، لسان العرب: (فسد).
(3) جَبَل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (فسد).

الَّذين لا يؤْمنون به، ظُلْمًا، وعِنادًا، وفسادًا، فيُجازيهم على فسادِهم وكُفْرِهم بأشَدِّ العذابِ.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

دلالَةُ الواوِ في: ﴿وَمِنْهُم﴾:

تَـخْـصـيـصُ العـامِّ، أوْ بَيانُ المُجْمَلِ

الواوُ في قولِه: ﴿وَمِنْهُم﴾ عاطفةٌ، حيثُ عطَفَت ما بَعْدَها على جملةِ: ﴿بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِۦ﴾ [يونس: 39] في الآيةِ السّابقة؛ "لأنَّ الإخْبارَ عنْ تَكْذيبِهم بأنَّهُ دون الإحاطَةِ بعِلْمِ ما كَذَّبوا به يَقْتَضي أنَّ تَكْذيبَهم به لَيْسَ عن بَصيرَةٍ وتَأمُّلٍ. وما كانَ بهاتِهِ المَثابَةِ كانَ حالُ المُكَذِّبينَ فيه مُتَفاوِتًا حَتّى يَبْلُغَ إلى أنْ يَكونَ تَكْذيبًا مَعَ اعْتِقادِ نَفْيِ الكَذِبِ عنْهُ، ولِذَلِكَ جاءَ مَوْقِعُ هذه الآيَةِ عقِبَ الأُخْرى مَوْقِعَ التَّخْصيصِ للْعامِّ في الظّاهِرِ أوِ البَيانِ للْمُجْمَلِ مِن عدَمِ الإحاطَةِ بعِلْمِهِ، كَما تَقَدَّمَ بَيانُهُ في قوله: ﴿بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِۦ﴾.

مَعْنى (مِنْ) في: ﴿وَمِنْهُم﴾:

(مِنْ) هُنا تبعيضيَّةٌ؛ لأنّ الآيةَ الكريمةَ جَعَلَتْهم في قِسْمَيْن: مَن يُؤمِنُ به، ومَن لا يُؤْمِنُ.

الغَرَضُ مِنْ تَقْديمِ الخَبَرِ عَلى المُبْتَدَأِ: ﴿وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ﴾:

التَّـعْـجـيـلُ بتَبْشيرِهِ ﷺ

﴿وَمِنْهُم﴾ خبرٌ مُقَدَّمٌ، و﴿مَّن﴾ مُبْتَدا مؤخَّرٌ، وجملةُ: ﴿يُؤْمِنُ بِهِۦ﴾ صِلَةُ المَوصولِ، وجملةُ: ﴿وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ﴾ معطوفةٌ على الجملةِ السّابقةِ، وقُدِّم الخبرُ على المبتدأِ؛ للتَّعجيلِ بتَبْشيرِه ﷺ بأنَّ مِن قومِه مَن سيشرحُ اللّه صدرَه للإسلامِ، ويُصَدِّقُ بالقرآنِ، لذا قُدِّمَ قوله: ﴿مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ﴾ على قولِه: ﴿وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ﴾.

مَرْجِعُ الضَّميرِ: (هم):

أَهْـلُ مَـكَّـةَ هُـمُ المَـقْـصـودونَ بالخِطابِ

يعودُ الضَّميرُ (هُم) على أهلِ مكَّةَ. أي: ومِنْ هَؤُلاءِ الَّذينَ بُعِثْتَ إلَيْهِم يا مُحَمَّدُ مَنْ يُؤْمِنُ بهَذا القُرْآنِ، ويَتَّبِعُكَ ويَنْتَفِعُ بما أُرْسِلْتَ

به، ﴿وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ﴾ بَلْ يَموتُ على ذَلِكَ ويُبْعَثُ عليْه، وإنما عبَّرَ بالضمير لأنَّهم المَقْصودون بالخطابِ أوَّلًا لكَوْنِ رسولِ اللّه ﷺ بُعِثَ فيهِم أوَّلًا فكانوا مُبتدَأ الخِطابِ.

التَّعْبير بالمُبْتَدَأِ اسْمًا مَوْصولًا في: ﴿مَّن يُؤْمِنُ﴾:

عَبَّرَ بالمُبْتَدَأ اسْمًا مَوصولًا؛ ليَتَأتَّى بَيانُ المُرادِ بهِ مِن خلالِ صِلته: ﴿يُؤْمِنُ﴾، وما جاء بعدَها بالعطفِ: ﴿لَّا يُؤْمِنُ﴾.

أَهْـلُ مَـكَّـةَ مِـنْ جِـهَـةِ الخِـطابِ الـقُـرْآنِيِّ كـانـوا عَلى فَريقَيْنِ

دلالَةُ التَّعْبيرِ بالمُضارِعِ في: ﴿يُؤْمِنُ﴾:

عبَّرَ بالمضارعِ في طرَفَي المُخاطَبين استحضارًا للحالِ الماضيةِ، وتنبيهًا إلى ما يكونُ عليه الحالُ دائمًا عند سماعِ القرآنِ في كلِّ زمنٍ، وعبَّرَ بالمضارعِ حالَ التَّنزيلِ إعلامًا بما سيكونُ من حالِ المُخاطَبين.

دلالَةُ حَرْفِ الجَرِّ (الباء) في: ﴿بِهِۦ﴾:

الإلْصاقُ أَشْهَرُ مَعاني الباءِ

الباءُ المفردةُ حَرْفُ جَرٍّ، ولَها معانٍ كثيرةٌ تصلِ لأرْبعةَ عشَرَ معنًى، ومِن أشهرِ معانيها الإلصاقُ، وقيلَ: هو معنًى لا يفارقُها؛ لذا اقتصرَ عليه سيبَوَيْه. وكلام سيبَوَيْه يُفيدُ أنَّ معنى الإلصاقِ في (الباء) معنًى أصليٌّ، وغيْرُهُ من المعاني تابعٌ له[1].

والباءُ في قولِه: ﴿وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ﴾ للإلصاقِ، والمعنى: ومِن قومِك يا مُحَمَّدُ ﷺ مَن سيؤمنُ إيمانًا راسخًا بالقرآنِ الكريمِ لا يَنْفَكُّ عنْه، ومنهم أيضًا مَن كُتِبَ عليه الشَّقاءُ فلا يُؤْمنُ بما جئتَ به.

الغَرَضُ مِنْ أُسْلوبِ طِباقِ السَّلْبِ:

تَـقْـسـيـمُ أَهْـلِ دَعْوَتِهِ ﷺ

دَلَّ طباقُ السَّلْبِ بَيْن ﴿يُؤْمِنُ﴾ و﴿لَّا يُؤْمِنُ﴾ على تقسيمِ أهلِ دعوتِه ﷺ إلى فريقيْن مُتَناقِضَيْن، فريقٍ كَتَبَ اللّه له السَّعادةَ بالهدايةِ للإيمانِ بالقرآنِ، وبرسالةِ مُحَمَّدٍ ﷺ وفريقٍ كُتِبَ عليه الشَّقاءُ فأصَرَّ على كفرِه بالقرآنِ وبما جاء به النَّبيُّ ﷺ.

(1) ابن هشام، مُغْني اللَّبيب: 1/95.

دلالَةُ التَّرْتيبِ في تَقْسيمِ النّاسِ: ﴿وَمِنْهُم﴾، ﴿وَمِنْهُم﴾:

قُـدِّمَ تَـرْتـيـبُ المُـؤْمِـنـيـنَ؛ لشَرَفِهم، وعُلوِّ مَكانَتِهم

جاءَ التَّرتيبُ في الجملةِ متساوِقًا مع التَّعجيلِ بتبْشيرِ النَّبيِّ ﷺ فقُدِّمَ ما يَسُرُّه، وأُخِّرَ ما يُحْزِنُه، كما قُدِّمَ ترتيبُ المُؤْمِنين؛ لشَرفِهم ومكانتِهم.

دلالَةُ اخْتيارِ المُضارِعِ في القِسْمِ الثّاني:

إصْرارٌ عَلى الكُفْرِ والعِنادِ

في إيثارِ التَّعبيرِ بالمضارعِ في قوله: ﴿وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ﴾ في القِسْمِ الثّاني في قولِه: ﴿لَّا يُؤْمِنُ﴾ إشارةٌ إلى إصرارِ هذا الصِّنفِ من النّاس على العِنادِ والمكابرةِ والكُفْرِ، وفي تجديدِ الإنكارِ تسجيلٌ للجريمةِ وبيانٌ عن ملازمتِها لهم.

دلالَةُ الواوِ في: ﴿وَرَبُّكَ﴾:

اللهُ أَعْلَمُ بما كانَ وما يَكونُ قَبْلَ الخَلْقِ

الواوُ في قولِه: ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ﴾ استئنافيَّةٌ، وهي بيانٌ لمعْنًى تأسيسيٍّ أنَّ عِلْمَه سبحانه بالمُفْسِدين حقيقةٌ ثابتةٌ، وهي تأكيدٌ للإخبارِ بما يكونُ عليه فريقٌ من النّاسِ من إنكارِ القرآنِ، أو ابتدائيَّةٌ فتكونُ تقريرًا للمعنى السّابقِ، ويُمكِنُ أن تكونَ الواوُ حاليَّةً على معنى: والحالُ وهُم كذلك أنّ اللّه تعالى يعلمُ المُفْسِدين منهم، ويمكن أن تكونَ الواوُ اعتراضيَّةً كذلك.

سِرُّ إضافَةِ الرُّبوبيَّةِ إلى ضَميرِ الخِطابِ:

مَكانَةُ الرَّسولِ ﷺ عِنْدَ رَبِّهِ

في إضافةِ الرُّبوبيَّةِ إلى ضميرِ الخطابِ، حيثُ لم يَقُلْ: (وإلَهكَ)، إيماءٌ إلى مكانةِ الرَّسول ﷺ عِنْد رَبِّه، فهو سبحانَه مُتَوَلّيه بالرِّعايةِ والإنعامِ واللُّطْفِ كما يوحي به معنى (رَبّ). وفيها أيضًا تشريفٌ له ﷺ.

الغَرَضُ البَلاغيُّ مِن التذييل بالاعْتِراضِ:

التَّـعْـريـضُ بالوَعيدِ والإنْذارِ

جاءتْ جُملَةُ: ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ﴾ مُعْتَرِضَةً في آخرِ الكَلامِ؛ للتَّعْريضِ بالوَعيدِ والإنْذارِ، وبأنَّ غيرَ المُؤْمِنين مِنَ المُفْسِدينَ[1]. وخُتِمتِ الآيةُ بقولِه: ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ﴾ "لِلْعِلْمِ

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 11/175.

بأنَّهُ ما ذَكَرَ المُفْسِدينَ هُنا إلّا لأنَّ هَؤُلاءِ مِنهم، وإلّا لَم يَكُنْ لذِكْرِ المُفْسِدينَ مُناسَبَةٌ، فالمعنى: ورَبُّكَ أعْلَمُ بهِم لأنَّهُ أعْلَمُ بالمُفْسِدينَ الَّذينَ هم مِن زُمرَتِهِم"[1].

دلالَةُ صيغَةِ المُفاضَلَةِ: ﴿أَعْلَمُ﴾:

يُمكِنُ أن تكونَ صيغةُ (أفعل) على بابِها في المفاضَلةِ على معنى أنَّ هناك مَن يعلمُ حالَ أولئِك المُفْسِدين، ولكنَّ اللّه تعالى هو أعلمُهم بهم، ويُمكِنُ أنْ تكونَ مَسْلوبَةَ المُفاضَلَةِ على معنى أنّ اللّه تعالى هو فقَط مَن يعلمُ حالَهم دونَ غيرِه، وتكونُ صيغةُ (أفعل) للْمبالَغةِ في التَّأكيدِ.

مَعْنى الباءِ في: ﴿بِٱلْمُفْسِدِينَ﴾:

الباءُ المفرَدةُ حَرْفُ جَرٍّ، ومِن أشهرِ معانيها الإلصاقُ، وقيلَ: هو معْنًى لا يُفارِقُها؛ لذا اقتصرَ عليه سيبَوَيْه. وكلامُ سيبَوَيْه يُفيدُ أنَّ معنى الإلصاقِ في (الباء) معْنًى أَصْليٌّ، وغيْرُهُ مِن المعاني تابعٌ له[2].

والباءُ في قوله: ﴿أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ﴾ للْإلصاقِ، والمعنى: ورَبُّك يا مُحمَّدُ أعلمُ بالمُفْسِدين عِلمًا لا يَنْفَكُّ عنه ويلتصقُ بهم لا يفارقُهم أيضًا.

مَعْنى (أل) في: ﴿بِٱلْمُفْسِدِينَ﴾:

(أل) هُنا الأفضلُ أنْ تكونَ جنسيَّةً استغراقيَّةً لتَشْمَلَ كلَّ صُنوفِهم، ولا تقتصرُ على نوعٍ محدَّدٍ منهم.

بَلاغَةُ المُتَشابِهِ اللَّفْظيِّ:

وذلك في قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ﴾ في آية سورة يونس.

فوردَتْ آيةُ آلِ عمرانَ ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾﴾ [آل عمران: 63] في سياقِ الدَّعوةِ إلى المُباهلةِ بَعْد جدالِ وفْدِ نَجْرانَ مع النَّبيِّ ﷺ في شَأْنِ عيسى عليه السلام والمعنى: فإنْ أعرضوا عنِ اتِّباعِك وتصديقِك بعدَ هذه الآياتِ البيِّناتِ، والحُجَجِ النَّيِّراتِ الَّتي أخْبَرْناك بها وقَصَصْناها عليك، فأنْذِرْهم بسوءِ العاقبةِ، وأخْبِرْهم أنَّ اللّه ﷻ عليمٌ بهِم، وبما

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 11/175.
(2) ابن هشام، مُغْني اللَّبيب: 1/95.

يقولونَه ويفعلونَه مِن فسادٍ في الأرضِ، وسَيُعاقِبُهم على ذلك العقابَ الأليمَ، وقولُه: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾﴾ [آل عمران: 63] قائمٌ مقامَ جوابِ الشَّرْطِ، أي: فإنْ أَعْرضوا عن تصديقِك والإيمانِ بدَعوتِك، فأخْبِرْهم بأنَّهم مُفْسِدون وأنَّ لهم سوءَ العاقبةِ؛ لأنَّ اللَّه عليمٌ بإفْسادِهم، ولن يتركَهم بدونِ حسابٍ، واسْتَدعى هذا السِّياقُ بما فيه مِن وعيدٍ مُزَلْزِلٍ لهؤلاء المجادِلينَ بالباطلِ في شَأْنِ عيسى ﷺ ولِكُلِّ مَنْ أعْرَض عن الحَقِّ الَّذي جاء به النَّبيُّ ﷺ استَدْعى إيثارَ التَّعبيرِ بوَصْفِ الأُلوهيَّةِ؛ لقَذْفِ الهَلَعِ في قلوبِ المُعارِضينَ، ولإضْفاءِ مزيدٍ مِن المَهابَةِ على هذا الوَعيدِ.

أمّا آيةُ يونسَ فقد وردتْ في مقامِ تحدّي المُشْرِكينَ بمعارَضةِ القرآنِ الكريمِ، وتَسْلِيَةِ الرَّسولِ ﷺ؛ لذا كان من المُلائِمِ إيثارُ التَّعبيرِ بوصفِ الرُّبوبيَّةِ، وإضافتِها إلى ضميرِه ﷺ ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ﴾ تشريفًا لَه، وتأكيدًا على مَعيَّةِ اللَّه لرسولِه الكريمِ ﷺ، ووَعيدًا لَمن لا يؤْمِنُ بدَعوتِه، ﷺ.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد التاسع عشر، سورة يونس من الآية 15 إلى الآية 75
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد التاسع عشر، سورة يونس من الآية 15 إلى الآية 75 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 19 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-16-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 19 : المجلد التاسع عشر، سورة يونس من الآية 15 إلى الآية 75.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-16-6
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-6365726 بتاريخ 2024/02/07م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»